

## ثانيا: الوسط الجغرافي والإنسان السوداني

أطلق العرب كلمة السودان على الأقاليم التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، ومنهم من أطلقها على كل السود الإفريقيين ومنهم من يقصرها على سكان غربي إفريقيا، فيقول ابن خلدون " والسودان أصناف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة ويليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانية". أما البكري فقد أطلق الكلمة في القرن الخامس الهجري على الجزء الغربي من إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان.<sup>(1)</sup>

### 1-الموقع الجغرافي.

تقع إفريقيا جنوب الصحراء ما بين خطي عرض 4° و 16° شمال خط الاستواء، وهي تقع على بعد متساوي تقريبا بين المناطق الشمالية شديدة الحرارة (الصحراء الكبرى) والجنوبية (المنطقة الاستوائية)، وفي هذه المنطقة الوسطى ازدهرت الزراعة السودانية.

توجد في الشمال الصحراء وتمتد إلى وادي النيجر الأوسط، وفيها بعض الهضاب والوديان، ولم تكن الصحراء حاجزا ولا مانعا من تنقل الشعوب من غربها إلى شرقها من شمالها إلى جنوبها، فقد كان التنقل على ظهور الجمال منذ 300م وهناك طرق القوافل التي تصل الشمال بالجنوب.<sup>(2)</sup> أما في الجنوب حيث المنطقة الاستوائية ذات الأمطار الغزيرة، فلا يقصدها سوى الشعوب المستضعفة، وذلك لرطوبتها الشديدة وظلام الغابات، كما أن المواصلات مرهقة والصيد صعب وخطر وكذا الزراعة.

فكانت أفضل منطقة للاستقرار هي المنطقة الوسطى، حيث ازدهرت الحضارة السودانية، وهي منطقة سهبية بها عدة أنهار منها: نهر السنغال وطوله 1600 كلم وينبع من وسط غينيا

---

(1)- للمزيد حول إطلاق التسمية يراجع: الهادي مبروك دالي، التاريخ السياسي والاقتصادي إفريقيا فيما وراء

الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر.

(2)- احمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث.

ويصب في المحيط الأطلس، ونهر النيجر وطوله حوالي 4200 كلم، وينبع من حدود غينية مع سيراليون ويمر عبر مالي والنيجر ويصب في السواحل النيجيرية. وهو نهر صالح للملاحة وقامت على ضفافه عدة ممالك إسلامية.

## 2- أهم الشعوب في إفريقيا جنوب الصحراء:

يوجد في إفريقيا جنوب الصحراء مزيج من الشعوب القبائل والجماعات يصعب تحديد أصولها، فنجد في هذه المنطقة مثلا 150 لهجة ولغة، ولاتدل القرابة اللغوية على القرابة العرقية. وستعرف على بعض الشعوب التي دخلت الإسلام أو أنشأت دويلات إسلامية.

-شعب البوهل: (Peuhl) أو الفولبييه (Foulbés)، لهم صفات العرق الأبيض، وقد أثار أصل البوهل نقاشا واسعا بين علماء الأجناس (الأنثروبولوجيين) منهم من يراه شعبا حاميا جاء إلى السودان عبر إفريقيا الشرقية ومنهم من يرى ان أصوله من سورية جاء عبر برقة، وينتشر هذا الشعب في المنطقة الممتدة من السنغال إلى تشاد، ويعملون على تربية المواشي، وهم من الشعب الأكثر دفاعا عن الإسلام.

-شعب الهوسا (Haoussa): نجده في السودان الأوسط وفي وادي النيجر الأدنى، وهو يعيش شمال نيجيريا حيث أقام عدة دويلات إسلامية منها سوكتو وكانو وكاتسينيا وزاريا وبرم وزنفرة وداوره وغوير، وهم يتكلمون لغة واحدة هي لغة الهوسا،<sup>(3)</sup> وقد سيطر هذا الشعب على مساحات واسعة من غربي إفريقيا وقد خالطت دماءهم عناصر بربرية من الشمال وعناصر عربية وهناك بعض وجوه التشابه بين اللغة البربرية ولغة الهوسا، كما ان هذه اللغة تكتب بالحروف العربية.

- شعب الماندي (Mandé) أو الماندينغ (Manding): ويقال لهم أيضا المالك، ينتشر هذا الشعب من منطقة السنغال الأعلى والنيجر الأعلى إلى الساحل الأطلسي، والماندي هم أرباب التجارة. وهو الشعب الذي أسس مملكة مال الإسلامية.

-شعب التكرور: ويقال له أيضا التوكولور (Toukulour)، وهو شعب زنجي وسمي باسم البلاد التي سكنها قديما في شمال حوض السنغال الأسفل، كما يوجد هذا الشعب شمال نهر النيجر الأعلى.

(3)-خالدي مسعود، وسائل انتشار الإسلام في السودان الأوسط (القرن 1-5هـ).

- الشعوب البيضاء توجد في الصحراء الكبرى، وامتدت أحيانا إلى بلاد السودان ومنهم الطوارق وهم قبائل صنهاجية دخلوا إلى الصحراء في أول العصر الميلادي، بالإضافة الشعب الموريطاني والعرب.

### ثالثا: الديانات الوثنية في إفريقيا الغربية قبل الإسلام

شكلت الوثنية الديانة الأم لمعظم سكان بلاد السودان قبل الإسلام، وتعد الإحيائية الديانة الأكثر انتشارا في المجتمع الإفريقي، وهي الاعتقاد بوجود قوة روحية في الأشياء، أي أن للنبات والجماد أرواحا مشابهة لتلك التي لدى الإنسان، وهذه المعتقدات غير ثابتة وتختلف من قبيلة إلى أخرى. ويتجوه الإحيائيون إلى عبادة السلاف ليكونوا وسطاء بينهم وبين تلك القوة الخفية، وهم يرمزون إلى الأسلاف بحيوان أو جماد أو نبات ويسمى الطوطم، ولكل قبيلة طوطمها. وأساس عبادة الأسلاف عند الإحيائيين هو أن حياة الإنسان لا تتوقف عند مفارقة الروح للجسد. والأسلاف عندهم موجودون بينهم ويتدخلون في الشؤون الاجتماعية.<sup>(4)</sup>

كما كان الملك في هذه المجتمعات له دوره الروحي، ولا يمكن أن يحقق ذلك إلا بلوغه أسمى درجات السحر، وبذلك يقوم بدور الوساطة بين الأحياء والأسلاف عن طريق القوى الحيوية، وهذا الاعتقاد أضفى على الملوك صفة القداسة<sup>(5)</sup>. ففي سنغاي كان الملك سني علي أو سني بر يعد من أكبر السحرة، وقد تشبع بهذه الثقافة منذ طفولته لنشأته عند أحواله الوثنيين، ورغم تظاهرة بالإسلام إلا أن تصرفاته كانت وثنية، وهذا ماجعل الاسقيا محمد الكبير يثور عليه ويتنزع منه الحكم.

بالإضافة إلى الإحيائية هناك كثير من المعبودات لدى المجتمعات الإفريقية، منها عبادة الحيوان، فقد كان الغانيون قديما يقدسون الحية ويقدمون لها القرابين من الفتيات، كما قدست قبائل الدوغون والبامبرا النبات والمعادن مثل النحاس والذهب. وكانت الأرض موضع تقديس عظيم

(4)- عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا.

(5)- ذة. زوليخة بن رمضان، المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و10 هـ.

عند القبائل الزراعية في شمال غانا، أما قبائل المنادي فكانوا يقدمون القران للنهر الفاض، ومنهم من قدس الهضاب والكهوف والتلال والرياح والنجوم...<sup>(6)</sup>

يوجد تشابه بين بعض المعتقدات الوثنية في بلاد السودان مع معتقدات الحضارات القديمة، فقد كان اليونانيون يقدسون الأرض والجبال، كما أن أعياد اليونان تشبه العياد الإفريقية، كما تشبه بعض المعتقدات الإفريقية معتقدات مصر القديمة فمثلا تاج فرعون على شكل حلزوني تحيط به أفعى وهذا ما يوجد في السودان، وهذا دليل على أن المجتمع الإفريقي لم يكن معزولا وهناك اتصال بين مجتمعات العالم القديم.<sup>(7)</sup>

---

<sup>(6)</sup>- نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

1975، ص.38

(7)-

المحاضرة الثانية مقياس التواصل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء، المستوى: ماستر 1 تاريخ الجزائر الحديث. د.صالح